Employment of Abi Nowas in Contemporary Arabic Poetry

Dr. hossein goli*
Dr. Abdol vahid Navidi **

(Received 10 / 9 / 2022. Accepted 1 / 12 / 2022)

□ ABSTRACT □

A new text has emerged in contemporary Arabic literature, which is the employment of the crystallized literary heritage in the heritage personalities as an expression of the poetic experiences of contemporary poets. In his poetry, he made change and creativity, as an expression of poetic experiences in the circumstances of his own life in the golden age, which was full of luxury living and luxury. There are many contemporary poets who were interested in this modern technique to enrich their literature, including Adonis and Amal Dunqul, hasab alSheikh Jaafar, who were inspired by heritage in their poetic poems employing glimpses of Abu Nowas' personality to express their own poetic experiences. Nawas in the poems of these poets and their significance through which they expressed their feelings, and to identify the reasons for their tendency to employ this personality to express their experiences in friendship.

Key words: poetry, contemporary, employment, heritage, Abu Nowas.

* **Assistant professor of Arabic language and literature Department. Arak university. (responsible writer) .H-goli@araku.ac.ir**

** **Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran. A.v.navidi@scu.ac.ir**

توظيف شخصية أبي نواس في الشعر العربي المعاصر

د. حسين گلی*

د. عبد الوحيد نويدي **

(تاريخ الإيداع 10 / 9 / 2022. قبل للنشر في 1 / 12 / 2022)

□ ملخّص □

برزت في الأدب العربي المعاصر نصية جديدة، وهي توظيف التراث الأدبي المتبلور في الشخصيات التراثية تعبيراً عن التجارب الشعرية عند الشعراء المعاصرين، ومن الشخصيات التراثية المثيرة للجدل في الأدب العربي القديم شخصية أبي نواس الذي أبدع في إنشاد القصائد الشعرية وتمرد على أسلوب القدماء في المقدمات الطللية وجدّد في شعره و قام بالتغيير والإبداع، تعبيراً عن التجارب الشعرية في ظروف حياته الخاصة في العصر الذهبي الذي كان مليئاً برغد العيش والترف. هناك كثير من الشعراء المعاصرين الذين اهتموا بهذه التقنية الحديثة لإثراء أدبهم، ومنهم أدونيس وأمل دنقل وحسب الشيخ جعفر الذين استلهموا التراث في قصائدهم الشعرية موظّفين لمحات من شخصية أبي نواس تعبيراً عن تجاربهم الشعرية الخاصة، ويسعى الباحثان من خلال المنهج الوصفي التحليلي، إلى دراسة شخصية أبي نواس في قصائد هؤلاء الشعراء ودلالتها التى عبروا من خلالها عن خلجات أنفسهم، والتّعرف على أسباب نزوعهم إلى توظيف هذه الشخصية تعبيراً بها عن تجاربهم بصداقة.

الكلمات المفتاحية: الشعر، المعاصر، التوظيف، التراث، أبونواس.

* أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة اراك، اراك، إيران،(الكاتب المسؤول) H-goli@araku.ac.ir

** أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران، a.v.navidi@scu.ac.ir

مقدمة

بادر الشاعر العربي الحديث إلى استلهام التراث والروافد الأدبية خلال النصف الأول من القرن العشرين ولم يستغرق الأمر وقتًا طويلاً حتى أصبحت هذه التقنية تياراً عميقاً في مجرى الشعر العربي المعاصر خلال العقود التالية للتأصيل والتحديث في الوقت نفسه. وكان التراث بالنسبة إلى الشاعر المعاصر ينبوعاً دائم التفجّر، وأصبح عمودا يبني عليه حاضره الشعري الجديد.

واستلهام التراث بأقسامه في الشعر العربي المعاصر من الفنون المستحدثة التي نزع إليها الشعراء بطرائق مختلفة تعبيراً عن همومهم وآلامهم تجاه الحياة من ناحية، وبثّ روح الحياة والحركة في جسد الشعر العربي من جديد متمسكّاً بالقديم الزاهر، والتراث الأدبي بما يناسب شخصية الشعراء المعاصرين لتقدم صورة متميزّه في الشعر الجديد.

ومن الشخصيات المثيرة للجدل في عالم النقد والدراسة شخصية أبي نواس الشاعر العباسي المبدع الذي ذاع صيته في العصر الذهبي وهو طويل الباع في الإبداع والخروج عن الأسلوب المعتاد عليه في إنشاد القصائد داعيا إلى رفض المبادئ القديمة وتحطيم الشكلية في التعابير الفنية، ويمكن تلخيص الأيديولوجيا الشعرية لأبي نواس فيما يلي:

1-**صورة رفض الطلل:** آمن أبو نواس بمفهوم الصدق الفني، وحاول أن يستخدم شعره في التعبير عن الواقع الذي يعيش فيه، وذِكر جوانبه، ودعا إلى ترك الأنماط القديمة لاعتقاده بأنّ الشعر ينبوع من طبيعة الحياة.

2-**صورة استبدال الطلل بالخمرية النواسية:** جعل أبو نواس من الخمرة غرضاً شعرياً مُنفرداً، فقد رواه قصصاً وجعله حواراً، وأضاف عليه أسلوباً فنياً، مبتعدا بذلك عن الأطلال والنمط الشعري القديم، إذ أحب الخمرة ودعا إليها في أشعاره، وساعده في ذلك، الترف المادي والإقبال على الخمرة في ذلك الوقت.

ومن الشعراء الذين وظّفوا ملامح شخصية أبي نواس في أشعارهم تعبيراً عن تجاربهم الشعرية «**علي احمد سعيد وأمل دنقل وحسب الشيخ جعفر**»، فاهتمّ هؤلاء الشعراء بالكشف عن تحول القصيدة الحديثة نحو التراث المتبلور في شخصية أبي نواس وشعره ورؤيته في الحياة. فاعتنى الباحثان بدراسة ما يعبّر الشعراء المعاصرون به عن تجربتهم الشعرية.

فمن أجل ذلك نهدف في هذا البحث إلى دراسة شخصية أبى نواس التى استردفها الشعراء المعاصرون وتحليل الدلالات الكامنة وراء هذه الشخصية المستدعاة وكذلك كيفية إحضارها في قصائدهم. لكنه يجب علينا أن نشير إلى أن هذه المحاولة لا تدعي أنّها استقصت الشعر المعاصر الذي تعامل مع الرموز التراثية، بل هي إسهام متواضع يكشف عن ضرورة استلهام التراث عند شعرائنا المعاصرين.

خلفية البحث:

لا شكّ أنّ كثيرا من الشعراء في العصر الحديث اتجهوا نحو التراث ومعطياته بجعل الدراسات النقدية تهتم بهذا المجال، وهناك من الباحثين و الكتاب من عكف على دراسة التراث وشخصياته المستدعاة في النصوص الأدبي، منها:

- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر لعلي عشري زايد ويحتوي الكتاب على صورة التراث بأقسامه وعوامل عودة الشعراء إلى التراث بأنواعه بصورة كلية.
- توظيف الشخصيات التراثية الدينية في شعر نجاج إبراهيم لعذرا دريس وعلي حضرى، مجلة التراث العلمي العربي، العدد 45.
- أبونواس وقضية الحداثة لحسن درويش.
- الحفاظ على التراث الثقافي لجمال عليان

- الشعر العربي المعاصر والتراث لعزة محمد جدوع
- الشعراء المظلومون في التاريخ أبو نواس وبشار بن برد أنموذجاً لجواد غلام علي زاده

أما دراستنا هذه فقد عكفت على ظاهرة استلهام التراث الأدبي المتبلور في لمحات شخصية أبي نواس في شعر أمل دنقل وأدونيس وحسب الشيخ جعفر، وبعد الاطلاع على الأبحاث المنجزة في هذا المجال وفيما يتعلق ببحثنا يمكن القول بأنه لم يتم إجراء أي بحث مختصّ في الموضوع على الاطلاق.

الأطار النظري

التراث لغة واصطلاحا

هناك الكثير من المعاجم التي اعتنت بلفظة التراث وتعريفها ، وقد ورد في لسان العرب بأنه « أورث الرجلُ ولدَه مالا إيراثا حسنا ، أورثه الشيءَ أبوه وهم وَرَثَةُ فلان ، وورثه توريثاً أي أدخله في ماله على ورثته ، وتوارثوه كابرا عن كابر ، وأورث الميث وارثه ماله أي تركه له ، والتراث ما يخلفه الرجل لورثته »[i] كما وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم وفي قوله تعالى : (وتأكلون التراث أكلا لمًّا)[ii] وقوله عز وجل : (ثم أورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرت باذن الله ذلك هو الفضل الكبير)[iii]

أما التراث في الاصطلاح فهو ما توارثته الأزمن منذ العصور السالفة وما وصل إلينا منها مكتوباً كان أو منقولاً ملموساً كان أو غير ملموس[iv]، فهو «يمثل الذاكرة الحية للفرد والمجتمع ، ويمثل بالتالي هوية يتعرف بها الناس على شعب من الشعوب»[v]، بحيث لا تتبع حضارة ولا ثقافة إلّا منه . « ولقد كان التراث في كل العصور – بالنسبة للشاعر هو الينبوع الدائم التفجر بأصل القيم وأنصعها وأبقاها ، والأرض الصلبة التي يقف عليها ليبني فوقها حاضره الشعري الجديد على أرسخ القواعد وأوطدها ، والحصن المنيع الذي يلجأ إليه كلما عصفت به العواصف فيمنحه الأمن والسكينة»[vi]، فالتراث هو الملجأ الذي يلجأ إليه الشعراء في معظم حالاتهم والعصا التي يستندون إليها عند انكساراتهم وهو الذي يربط الماضي بالحاضر ومن ثَمَّ بالمستقبل . التراث ما أنجبه الماضي وأثر فيه الحاضر و « هو عبارة عن احتكاك الحضارات ببعضها البعض»[vii]

لم تستعمل كلمة التراث بالمعنى الاصطلاحي إلا في العصر الحديث ، بعد نكسة العرب في حرب حزيران 1976م ، التي ظلت تحفر عميقاً في وجدان أبناء الأمة العربية ، ولا سيما المثقفون منهم ، لإدراكهم أن الهزيمة لم تكن عسكرية فحسب ، بل كانت هزيمة حضارية أيضاً، فقد أدرك المثقفون العرب أن العودة إلى الجذور ضرورة ملحة وذلك ليس لتمجيد الماضي ، بل لمساءلة الذات من خلال مساءلة الماضي والوقوف على الخصائص المميزة والهوية الخاصة.

استدعاء الشخصيات التراثية

المراد باستدعاء الشخصيّة التراثية هو "توظيفها واستخدامها لحمل بعد من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر، أي أنها تصبح وسيلة تعبير وإيحاء في يد الشاعر يعبر من خلالها عن رؤياه المعاصرة"[viii] ولذلك اتجه الشعراء المعاصرون إلى التراث يستلهمون شخصياته وأعلامه على أنه من الملحوظ أن الشخصيّات "التي حظيت بالقدر الأعظم من اهتمام شعرائنا المعاصرين هي تلك التي ارتبطت بقضايا معينة، وأصبحت في التراث رمزا لتلك القضايا، وعناوين عليها سواء كانت القضايا سياسية أو اجتماعية أو فكرية أو حضارية أو عاطفية أو فنية"[ix]

هذا النوع من الاستدعاء للشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ليس مجرد توظيف في سياق زمني وحدثي ما، بل هو على حد ما قال أحد الباحثين "محاولة إعادة صياغتها في القصيدة، ودمج تلك الشخصيات في زمن الشاعر، الذي استعارها واختارها قناعا يتخفى من ورائه"[x]

وقد حاول الشاعر المعاصر من خلال استدعاء التراث أن يكون خطابه الشعري خطابا حضاريا مفتوحا لاستقبال كافة الخطابات التراثية الصالحة للحلول فيه وإخضاعها سياقيا لإمكاناتها التي تغني بانفتاحها على هذه الينابيع المتدفقة بإمكانات الإيحاء ووسائل التعبير، " وتكتسب أصالة وعراقة با كتسابها هذا البعد الحضاري التاريخي، وأخيرا تكتسب شمولاً وكلّية بتحررها من إطار الجزئية والآنية إلى الاندماج في الكلي والمطلق؛ لأن النماذج التراثية التي يعبر الشاعر من خلالها تمكنه من الخروج عن نطاق ذاتيته المغلقة إلى تجربي الإنسان في هذا العصر وفي كل عصر"[xi]

حياة أبى نواس وسمات شخصيته

تضاربت الأقوال والآراء في سيرة أبي نواس؛ مولده ووفاته ونسبه وكنيته، و«تباينت الأخبار فيما يتعلق بشخصية أبي نواس وورود طائفة كبيرة من الأشعار الخمرية في ديوانه وانتسابها إليه».[xii] وهناك من الأدباء من يذهب في ذلك مذاهب شتى، فبعضهم يرمونه بسهام الكذب وينسبون إلىه كل مجون واستهتار، و منهم حنا الفاخوري[xiii] وبعض منهم يأخذ من هذه القضية موضع التأمل والتشكيك في كثير من هذه القصائد الماجنة المنسوبة إلى أبي نواس ويعتقد أن الشاعر قد أحيط بمبالغات كثيرة في تصوير مجونه ومنهم شوقي ضيف[xiv] وآذرشب.[xv]

كانت ولادته عام 145 هـ بالأهواز بالقرب من الجبل المقطوع وتوفى سنة 195هـ[xvi] وقيل: كُني بأبي نواس لذوأبتين كانتا على عاتقه تنوسان[xvii] وفي الخبر دليل على أن رفقاء حداثة أبي نواس ليسوا سوى غلمان مخنثين بصحبة هذا البراء المنحرف، وهذا هو أول دافع له من الخارج إلى المجون، ثم ساقه القدر إلى أن يتعرف إلى والبة بن الحباب الذي حثّه على أن يصطحبه معه إلى الكوفة،[xviii] وقد كان والبة أحد مجانها المشهورين وعنه أخذ أبو نواس الفسق العملي واللفظي والإباحة بأشنع معانيها، ولعله من الضروري أن نضيف إلى هذه البواعث المختلفة باعثاً آخر كان أكثر تأثيراً في مصير أبي نواس وهو حبه للجارية «جنان» التي لا تنفك تهزأ به وتسخر منه، وتمعن في اضطهاده[xix]

تفاعلت هذه البواعث الجذرية في وجدان أبي نواس متضافرة مع حياة الترف التي شهدها عصره ولاسيما حاضرة البلاد الأولى إى بغداد التي عاش في أحضانها، فولدت فيه النقمة بكل ما يؤمن به الإنسان من القيم والتقاليد.

يتعلق باتجاهه الفكري والفني الذي يميل فيه إلى مذهبه الجديد في الشعر الذي تتجسد فيه ثورته على منهج القصيدة العام وبنائها الفني وموقف الشعراء المتزمتين من هذه الاتجاه وهؤلاء هم الذين هاجمهم أبو نواس وسخر منهم، وهم الذين قادوا حملة مضادة له ولمذهبه الشعري، فأبو نواس كان يعتقد بتجديد الشعر وبثّ الروح الجديدة في بناء القصيدة وترك وصف الإبل والديار والوقوف عليها والبكاء على الأحبة الذين كانوا قد عاشوا هناك وبدلاً منه أقبل على وصف الخمرة وشربها كما أزاح الستار عن رؤيته قائلاً:

لا تبك ليلي ولا تطرب إلى هندٍ واشرب على الوردِ مِن حمراءَ كالوردِ[xx]

حاول أبو نواس أن يطوّر الصورة الخمرية مع التطور الحضاري لمجتمع القرن الثاني للهجرة ولاسيما أنه اتخذها بديلاً عن حديث الأطلال وتجلت شاعريته فيها لأنها كانت بمثابة ثورة تدعو إلى تحطيم الشكلية سواء في التعبير الفني أو في السلوك الاجتماعي[xxi] ومن ثم استطاع أن يرقى بها إلى عالم الخيال الخصب ليعد أحد النقاد ‹‹صنيع أبي نواس نقطة ضوء ساطعة في تاريخ الشعر العربي حين انتقل به من الإتباع إلى الإبداع››[xxii]

تأثّرت اللغة الشعرية لأبي نواس بعاملين: الأوّل: البيئة المدنية، إذ طغت على أشعاره اللغة البسيطة، والمفهومة، والخالية من التعقيد، الثاني: السلطة المعرفية والفكرية، إذ ظهر ذلك في قصائد المدح، والتي تتماشى مع أعراف الأجداد القدماء، فهناك مجموعة من المظاهر على التطور والتغيير اللغوي الذي طرأ على شعر أبي نواس ومنها:

1- استخدام اللغة كوسيلة للتعبير عن ذاته ومعتقداته الداخلية بمعزل عن العالم الخارجي وأفكاره.

2- الحفاظ على اللغة حيّةً؛ إذ يُمكن فهمها باختلاف الأوقات والأماكن.

3- الاعتماد على لغة ليّنة وسهلة؛ إذ تميّزت بسلاستها وبساطتها فلا يستصعبها القارئ، وكأنّها حديث يوميّ يسهل فهمه، فكانت أشعاره وقصائده دائمة التجدّد والحيوية، ويجدر بالذكر أنّ أسلوبه الخاصّ أثبت في كتابة خمرياته قِدمها وأسبقيتها على غيرها من الخمريات، واعتمد أبو نواس كبقية الشعراء في عصره على اللغة الشعبية القريبة للناس في قصائد الغزل، فاشتملت على استخدام ألفاظ في الأمثال الشعبية التي كانت مُستخدمةً في لغة العامّية، مثل: "إياك أعني واسمعي يا جارة"، إضافةً إلى استخدامه للألفاظ البسيطة الأصيلة في اللغة، والألفاظ المُعرَّبة كبعض الألفاظ النصرانية والمجوسية والألفاظ الفارسية الدخيلة، ومثال ذلك لفظ "متخرسن"، أي الذي يرتدي الملابس الخراسانية الفارسية.

مظاهر التجديد في بنية القصيدة عند أبي نواس

رفض أبو نواس في أغلب قصائده اتّباع النمط الشعري القديم الذي يبدأ بالوقوف على الديار، ثم الدخول في موضوع النسيب ووصف الرحلة ثم الانتقال إلى الغرض الشعري منها مرة أخرى، بل إنه دعا إلى اتّباع نمط شعري جديد تميّز بالوحدة الفنية، إذ تقوم بنية القصيدة في نمط أبي نوّاس على مجموعة من العناصر؛ أهمّها وحدة الموضوع، وتواقع المعاني، وتوازن التشبيه، كما أنه استطاع خلافا لشعراء الجاهلية تركيز على موضوع واحد دون الخروج عنه حتى نهاية القصيدة. ويظهر تجديد أبي نواس في مطالعه الشعرية في أنماط جديدة ومنها:

المقدمة الطللية: استعمل أبو نواس إمكاناته اللغوية للخروج بنهج جديد وأكثر حداثةً للأطلال التي تعود إلى العصور السابقة، فبدلا من استعمالها في ذكر الرحلة والراحل، استخدمها في بداية قصائده الخمرية.

المقدمة الغزلية: أظهر أبو نواس معاني الشوق، والطهر، والعفّة في مُقدّماته الغزلية على الرغم في ندرتها، إضافة إلى توظيفه الرموز والصور الأدبية لإضفاء معانٍ أعمق وأكثر تأثيراً في المُتلقّي.

مقدمة الظعن: اتّبع فيها أبو نواس أسلوبه الخاص المُغاير للأنماط القديمة، إذ اعتمد فيها وصف رحلته الخاصّة وما تضمّنتها من مغامرات، وأحداث شخصية، مُعبّراً عنها بأسلوب فنّي يتناسب مع شخصيته وأفكاره.

مقدمة الشيب والشباب: ضمّت قصائد أبو نواس القليل من مُقدّمات الشيب والشباب مقارنةً بغيرها، حيث إنّه وفي حديثه عن الشباب والشيخوخة تعمّد ربطهما بالواقع.

المقدمة الخمرية: طغت المُقدّمات الخمرية على شعر أبي نواس، وهذا يتناسب مع ما يدعو إليه من حرية التعبير، والانفتاح، وتناول بعض مظاهر الحضارة العباسية الجديدة من رغد العيش والترف.

إذن يعتبر الشاعر أبو نواس من المجدّدين والمنادين لصوت التّطور والتجديد في العصره العباسي، فاستدعى الشعراء العرب المعاصرون ملامح شخصيته فى قصائدهم الشعرية تعبيراً بها عن تجاربهم الشعرية.

الإطار التطبيقي

كما ذكرنا سابقًا، استخدم الشعراء المعاصرون شخصية أبي نواس في قصائدهم للتعبير عن تجاربهم الشعرية. وفي هذا القسم، سوف نقوم بدراسة وتحليل قصائد لثلاثة شعراء معاصرين مشهورين.

هبوط أبي نواس

يقدّم بعض الشعراء أبا نواس نموذجاً للاحتجاج والخروج على الساكن الثابت من قيم عصره الفنية والاجتماعية، ومن أهم النصوص الشعرية فيه قصيدة حسب الشيخ جعفر ‹‹هبوط أبي نواس›› التي يقدّم لها بإشارة من الأساطير نقلاً عن أوفيد:

وأحسن أرفيوس بلهفة إلى رؤيتها، فمال ببصره إلى الوراء فإذا بها تعود لساعتها إلى الأعماق السّفلى، وهي تمدّ ذراعيها نحوه عبثاً ... وإذا ملء كفّيها هواء.[xxiii]

تعتمد القصيدة على خطاب الشاعر المعاصر لأبي نواس وصوته المنادي هو حالته المعاصرة، وخطابه للشاعر الرافض محاولة لاستجلاء أعماقه وإعادة نثر حكاياته: حبّه وذكاؤه وهبوطه سلالم الخمارات باحثاً في الكوى الحجرية عن نجم وفي القدح عن وجه جنان المتجّدد المتحول في الطير الشارد، وفي امرأة عابرة، وفي الوردة الآفلة، والمرأة الغادرة، والقدح المحطّم، والغزالة الطريدة . إنها (جنان) ومن كان ينتظرها الهابطون في الرحلة الحجرية، وبداية النصّ ونهايته محكومتان بجنان:

جنان انتظار، جنان اندحار

جنان انتحار، فكن يا ابن هانيء

ماشئت كن حجراً أو نديماً...

عند الحوائط تستلّ خيط الدّنان السَّرابي

حولك صرعى الندامى

وخفق من الفجر في وجهك

الزقّ خال وثوبك بال ..... [xxiv]

استدعى الشاعر بعداً من أبعاد شخصية أبي نواس، وفي هذه القصيدة إشارة واضحة إلى مجون أبي نواس وشربه للخمر وذهابه إلى الحانات لكن المتأنّي في فحوى القصيدة يجد التطور والحركة والخروج عن السكون والثبات وما كان يعتقد أبو نواس من الآراء الفنية ومحاولة التحويل والتّطور في الشعر رافضاً أسلوب القدماء في مستهلّ القصائد، فهو الذي رأى الشعراء في رفضه الوقوف على الأطلال في شعره، واستبدال الحديث عن الخمر بالدعوة إلى ربط الشعر بعصره وتعبيره عن ضمير العصر هذا، وبهذا التأويل لشخصية أبي نواس استخدم الشعراء المعاصرون شخصيته.

والأسلوب النّواسي أو القصيدة النّواسية، أسلوب عند الشعراء أو النقاد المحدثين ويشكو من حالة الشعر والشعراء في هذا الزمان الذي ليس مكان للخمر فيه لأنّ الخمر موجود في الشعر أو في أدب عصر الترف والازدهار والنمو، إذن العصر الذي مملوء بالحزن واليأس والمأساة والدواعي الكثيرة إلى الغم لامجال فيه للعيش الرغد.

فحسب الشيخ جعفر من خلال توظيف صوت شخصية أبى نواس استطاع أن يلتقي تصويرا واضحا للشعر العربي القديم ويجاوز حدّ التعبير عنه بالتعبير به كما اعتمد على المنهج القائم على التأثّر الذاتي وعلى أصول فنية لها حظّ وافر من الاستقرار.

إذن استلهام التراث عند الشاعر فتح أبواباً أوسع أمام الشاعر الحديث وكما كان التصدع بين أبي نواس ومجتمعه، دفعه إلى الابداع والتجديد ورفض الحركة مسايرة مع الماضي المعتاد عليه، ومؤيد للنظرية القائلة بأن الإبداع الفنّى والتجديد ينتجان عن الخلل في التكيّف بين الفنان ومجتمعه.

فأبو نواس جنح إلى التجديد منطلقاً من الموروث القديم فهو حين استهلّ قسما من مدائحه بمقدمات تقليدية، وعمد إلى استخدام إشارات رمزية توفيقا بين الشاعر أبي نواس وزمان الشاعر المعاصر الذي يجد نفسه تائها وشاعرا يشرئب على وجهه الزمن والمعاصر يتبعه.

والشاعر حسب الشيخ جعفر قد بنى في أشعاره توظيفا لملامح شخصية أبي نواس جسراً يعبر عليه تعبيراً عن تجربته الشعرية ويصوّر ما كان يعيش فيه ويبثّ روح الحياة والحركة والحيوية المتبلورة في شخصية أبي نواس.

أبو نواس عند أدونيس

الشاعر المعاصر أدونيس من المحدثين والمنادين بالتجديد والاعتماد على التراث والأسطورة، معبرا من خلال رثائه لأبي نواس عن إحساسه الخاص بالغربة وسط الدمن التي تحيط به، ويهفو إلى أن يولد على يديه زمن جديد، فقال في القصيدة مستحضراً صوت أبي نواس:

تائهٌ والنّهار حولك

دهرٌ من الدَّمَن

شاعرٌ كيف يَشرئبُّ

على وجهك الزّمَن[xxv]

يصور أدونيس حيرة الشاعر في الدَّمن وضلاله ويسأل؛ كيف يشرئب الزّمن على وجهه، ويقدم الشاعر المعاصر إشارة رمزية لأبي نواس وزمان الشاعر الحديث، فإذا كان أبو نواس تائهاً وشاعراً يشرئب على وجهه الزمن، والمعاصر يتبعه، فإن أدونيس يطلب إليه أن يتركنا لزماننا هذا، فيؤكّد على التضامن بين الشاعر وواقع حياته وعصره قائلاً:

عارفٌ أنّني وراءك في موكب الحجر

خلف تاريخنا الموات

أنا والشعر والمطر[xxvi]

يجمع أدونيس بينه وبين الشعر والمطر مؤكداً اتّباعه لأبي نواس، إذ كان أبو نواس في ذلك الوقت ينادي بصوت التجديد بهذه الأبيات الرائعة:

ريشتي ناهدُ الجواري و أوراقيَ الحياة.

خلّنا يا أبا نواس

أللّيالي تلفّنا بالعباءاتِ والدّمن[xxvii]

يشير أدونيس إلى الجواري والعباءات والدّمن في سطور شعرية معا، المهم هو أنه لماذا يخاطب الشاعر المعاصر أبا نواس، وكأنه يضطرهم إلى ما لا يتعوّدوا عليه ويتوقع منهم الحركة والنشاط أو المعارضة لما يجري عليهم، ويشرح لأبي نواس سبب ذلك الطلب:

وأحبّاؤنا طغاةٌ مُراؤونَ كالسماء

خلّنا للعذاب الجميل وللرّيح والشّرَر

نقتلُ البعث والرّجاء[xxviii]

يطلب أدونيس من أبي نواس أن يتركه مع أحبائه يفعلون ما يشاؤون بدون أيّ رادع عن مراميهم لكي تقضي حياتهم في الشرر والمجون والعذاب، هكذا يخاطب الشاعر الحديث شاعراً قديماً، كأنه مضطر إلى ما يريد منه أبو نواس فيطلب منه أن يتركه وشأنه، مغنياً مع الحجر:

ونغنّي ونستجير

ونحيا مع الحجر

نحن والشعر والمطر

خَلّنا يا أبا نواس

ثمّ يستمر في القول:

لم يبق للآتين من بعيد

مع الصّدى والموت والجليد

في هذه الأرض النشوريّه[xxix]

فأدونيس شاعر الحداثة العربية يرمز إلى المعاني الخفية مستمداً من الإيحاءات والرموز الكثيرة حتى بعض الأوقات يصعب على المتلقي فهم ما يقصد، ففي عباراته رموز دالة مثلاً في السطور المذكورة: ‹‹الصدي، الموت، الجليد›› تدل على الجمود والثبوت وعدم الحركة بينما الشاعر الذي استدعاه هو أبو نواس الذي يرفض القيم والتقاليد ويدعو إلى التطور والتجديد وبثّ الحيوية في بناء القصيدة.

و في مكان أخر يقول أدونيس:

لم يبق الاّ أنتَ والحضور

يا لغة الرعد الجليليّة

في هذا الأرض القشوريّه

يا شاعر الأسرار والجذور[xxx]

يخاطب أدونيس أبا نواس كشاعرٍ وحيد و وصفه بلغة الرعد ويعدّه شاعر الأسرار والجذور، فهكذا يؤظّف الشاعر المعاصر شاعراً قديماً ونزعته الفنية الرافضة للقيم التقليدية، معبّراً عن تجربته الشعرية بلغة العصر والحركة طبقاً للظروف الثقافية والاجتماعية وكأنه يريد أن يقول للشعراء المعاصرين: عليهم أن ينشدوا أشعارهم مثلَ ما فعل أبو نواس ويبثّوا روح الحركة والنشاط في الشعر بدون أيّ خوفٍ وقلق من ترك العادة.

عمد أدونيس إلى المبنى الاستعاري الأشمل لكتابه الذي ينطبق عليه المفهوم الشعري بثرائه وتعاضد ثقافته الفكرية والفنية فدائماً يمضي صوت الشاعر إلى الحوارية في تراسل صوت الذات مع الإحساس بالوجود الإنساني معتمداً على التراث المتبلور في شخصية الشعراء الكبار أمثال أبي نواس تعبيراً به عن التجارب الشعرية المعاصرة واللجوء إلى ما كان الأمثل في القديم متناسقاً مع ماجرى في الزمن الحاضر، إذ كان ولايزال الماضي المشرق للأمم مرآة صافية تنعكس فيه كل شيء.

أوراق أبي نواس

كتب أمل دنقل قصيدة ‹‹أوراق أبي نواس››[xxxi] مستحضراً فيها صوت أبي نواس وفيها إشارات رمزية إلى سيرته، فأصبح أبو نواس نديماً للرشيد وصاحبه حاجبا عندما ألقى صاحبه درهمه وسأله أن يختار أحد وجهيه: ‹‹ملك أم

كتابة›› وفي النصّ إشارات لأمّه ‹‹الخادمة الفارسية››، لقد أحبها وعاوده صوتها وبكى وغام به الدمع عند ذكرها، وأبو نواس حائر مجنّح فقد أخذت السلطة أباه بتهمة المروق والخروج وأخذ الموت أمه:

‹‹ملكٌ أم كتابة؟››

صاحَ بي صاحبي، وهو يُلقي بدرهمه

في الهواء ثم يَلقُفُهُ

خارجين من الدرس كنّا ...

وحبر الطفولةِ فوق الرداء

والعصافير تمرق عبرَ البيوت

وتهبط فوق النخيل البعيد! [xxxii]

تشتمل هذه القصيدة على مقاطع، ويبدأ كل مقطع بعبارة ‹‹ملكٌ أم كتابة›› فأمل دنقل بهذه القصيدة وظّف شخصية أبي نواس أحسن توظيف مشيراً إلى ملامح شخصيته ومجونه ونسب أمه وأبيه، وقد امتلأت خمريات أبي نواس بهذه الظاهرة التي وقف عندها كثير من النقاد المحدثين، والسطور الشعرية تبين أثر الحضارة المادية في تطوير الصورة وتطوير الشكل الفني للقصيدة إذ خصّص الشاعر، الشطر الأول للحدث، بينما كانت الأبيات المكتوبة وهي بداية تحكم جديد في الشكل التعبيري بدأه أبو نواس ويقول الشاعر في السطور الشعرية:

‹‹ملكٌ أم كتابة››

صاح بي ...

فانتبهتُ، ورفّت ذُبابة

حول عينين لامعتينِ

فقلت:‹‹الكتابة››

فتح اليدَ مبتسماً،

كان وجهُ المليك السعيد

باسماً في مهابة! [xxxiii]

استمر الحوار بينهما فأجاب أبو نواس أن ‹‹الكتابة›› ستظهر ففتح اليد وكان وجه الملك قد ظهر في مهابة مبتسماً، فيخاطب الشاعر . حينما يسمع كلامه:

أيها الشعر ...

يا أيّها الفرح المختَلَس!!

كل ما كنتُ أكتبُ

في هذه الصفحة الوَرَقية

وأمي خادمةٌ فارسية

يَتناقَلُ سادتها قهوةَ الجنسِ

وهي تدير الحطب

يتندر سادتها الطيبون

بلهجتها الأعجمية![xxxiv]

نجد الإشارة إلى أمّ أبي نواس التي كانت خادمة وظلم السادة عليها وما آل اليه أمرها من الإهانة والاستخفاف كما يستمر في الكلام قائلاً:

لا تسألني إن كان القرآن

مخلوقاً أو أزلي

بل سَلني إن كان السلطان

لصاً ... أو نصفَ نبي!! [xxxv]

في هذه السطور يتعرض أمل دنقل لمعارضة الأمراء والحكام كأنهم لصوص يبتزّون أموال الناس فلذلك اهتمّ الشاعر المعاصر بالظروف الاجتماعية المسيطرة معنياً بما يجري حولهم من الأحداث، ومن لمحات توظيف شخصية أبي نواس أنه كان يتكلم بلغة العصر وكان يصوّر الحقائق الموجودة في حياة الناس والفساد الموجود في زمانه، وهذا التوظيف غير مباشر ثم يقول:

إن تكن كلمات الحسين

وسيوف الحسين وجلال الحسين

سقطت دون أن تنقذ الحق

من ذهب الأمراء فاسقني

يا غلامُ صباحَ مساء

اسقني يا غلام... [xxxvi]

واستخدم الشاعر المعاصر إلى جانب رمز أبي نواس، صوت الامام الحسين (ع) واستشهاده طالباً الحق وتنفيذه وبعد ذلك تنتهي القصيدة بعبارة ‹‹فاسقني›› مشيراً إلى شرب الخمر إذا لم ينفّذ هدفه، فيمكن القول أن الشعراء المعاصرين وظّفوا أبعاد شخصية أبي نواس مشيرين إلى ما آل اليه حال الشعر والأدب ولزوم التجديد والحداثة فيه كما فعل أبو نواس في عصره برفض التقاليد والقيم المرسومة، والإبداعية بدل الاتباعية في نزعته الشعرية.

كما كان الشاعر المعاصر إلى جانب استخدام لمحات شخصية أبي نواس ، يهدف إلى التعبير عن مشاعره من ناحية ورفض المسايرة مع التراث القديم المتبلور في عمود الشعر العربى فتجدر بلإشارة إلى أنّ أبا نواس كما يعتقد النقاد والباحثون كان يتناول الخمر رمزاً من ناحية وصورة عن الظروف المتاحة فى عصره من ناحية أخرى، العصر الذي كان مليئاً بوسائل العيش والمجون وكما كان أبو نواس صادقاً في عاطفته الشعرية، الشاعر المعاصر ايضاً باستلهام ملامح شخصيته يريد أن يؤكد على هذه الصفة المرموقة في إبداعاته الشعرية.

الخاتمة

بعد هذه المعاينة المتواضعة توصلنا إلى أنّ ثورة أبي نواس على منهج القصيدة العام في دعوته إلى رفض المبادئ القديمة وتحطيم الشكلية في التعبير الفنّي والمضامين الاجتماعية والرغبة في تجديد الشعر وبثّ الروح الجديدة في بناء القصيدة العربية أصبحت صفة متميزة مستحقة لتوظيف ملامح شخصيته في أشعار شعراء العرب المعاصرين نموذجاً دالاً للاحتجاج والخروج عن الساكن الثابت ليؤكدوا على لزوم هذه الحركة والنشاط في الشعر العربي المعاصر راغبين في التّطور والتّجديد وبثّ الحيوية في الأدب الحديث، فوظّفوا أبعاد شخصيته مشيرين إلى ما آلت إليه حال الشعر

والأدب ولزوم التجديد والحداثة فيه. فالشاعر حسب الشيخ جعفر قد استلهم شخصية أبي نواس للاحتجاج والخروج على الساكن الثابت من قيم عصره فاستدعى بعداً من أبعاد شخصيته وهو مجونه وشربه للخمر وذهابه إلى الحانات ورفض أسلوب القدماء في مستهلّ القصائد. والشاعر أدونيس الذي ذاع صيته في عالم النقد والدراسة لأشعاره في البلاد العربية كثيراً ما لجأ إلى التراث المتبلور في شخصية أبي نواس ونادى صوت الحداثة النابعة من الرجوع إلى الجذور الأصيلة لبثّ روح الحياة والحركة في جسد الأدب العربي الحديث. والشاعر أمل دنقل في قصيدة «ملك أم الكتابة» للتعبير عن تجاربه الشعرية لجأ إلى توظيف لمحات شخصية أبي نواس البارزة، متعرضاً للحكام الجبابرة في عصره.

الهوامش

[i].ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة ورث.

[ii].سورة الفجر: 19.

[iii]. سورة فاطر، 32.

[iv]. دريس، عذرا و آخرون، توظيف الشخصيات التراثية الدينية في شعر نجاج إبراهيم، 6.

[v].عليان، جمال، الحفاظ على التراث الثقافي، 71.

[vi]. عشري زايد، على، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، 7.

[vii]. مزيانى، اسمهان، التراث الشعبي في رواية "سيد الخراب" لكمال قرور، 15.

[viii]. عشري زايد، المصدر السابق، 105.

[ix].المصدر نفسه، 138.

[x].بنعمارة، محمد، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، 266.

[xi]. محمد جدوع، عزة، **الشعر العربي المعاصر والتراث**، 21.

[xii]. غلام علي زاده، جواد ، الشعراء المظلومون في التاريخ أبو نواس وبشار بن برد أنموذجاً، 209.

[xiii]. الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ١٤٢٧، 694/1.

[xiv]. ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، بلاتا، 160.

[xv]. آذرشب، محمد على، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، ١٣٨٢، ٩٢.

[xvi]. ابن عساكر، أبوالقاسم هبة الله، التاريخ الكبير، 1332هـ 4/ 279.

[xvii]. ابن خلكان، احمد بن محمد، وفيات الأعيان، 1948م، 1/ 377.

[xviii]. المصدر نفسه، 274/1.

[xix]. زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، 1946م، 2/ 51.

[xx]. أبونواس، السابق، 353.

[xxi]. البطل، علي، الصورة في الشعر العربي حتي القرن الثاني الهجري،، 1980م، 122.

[xxii]. درويش، حسن، أبونواس وقضية الحداثة، 1987م، 207.

[xxiii]. جعفر، حسب الشيخ، الأعمال الشعرية، ص 415.

[xxiv]. المصدر نفسه، 416 و 417.

[xxv]. أدونيس، ديوان أغاني مهيار الدمشقي، 1961م، 233.

[xxvi]. المصدر نفسه، ص 233.

[xxvii]. المصدر نفسه، ص 234.

[xxviii]. المصدر نفسه، ص 234.

[xxix]. المصدر نفسه، ص 235.

[xxx]. المصدر نفسه، ص 235.

[xxxi]. دنقل، أمل: الأعمال الشعرية الكاملة، 2005م، 329- 335.

[xxxii]. المصدر نفسه، 329.

[xxxiii]. المصدر نفسه، 331.

[xxxiv]. المصدر نفسه، 332.

[xxxv]. المصدر نفسه، 334.

[xxxvi]. المصدر نفسه، 335.

فهرس المصادر والمراجع

الكتب

1-آذرشب، محمد على، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، الطبعة الأولى، طهران، منشورات سمت. ١٣٨٢.

2-ابن خلكان، أبوالعباس شمس‌الدين احمدبن‌محمد، وفيات الأعيان، ج 1، القاهرة: مكتبة النهضة العربية، 1948م

3-ابن عساكر، أبوالقاسم علي‌بن حسن‌بن هبةالله، التاريخ الكبير، ج 4، دمشق: دارالروضة، 1332هـ

4-ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب،بيروت، دار صادر، ط 3، 1999م.

5-أبونواس، حسن‌بن‌هاني، الديوان، تحقيق وشرح: أحمد عبدالحميد الغزالي ، بيروت: دارالكتاب العربي،1984م

6-البطل، علي، الصورة في الشعر العربي حتي القرن الثاني الهجري، بيروت: دارالاندلس، 1980م

7-بنعمارة، محمد، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2001م.

8-جعفر، حسب الشيخ، الأعمال الشعرية، بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، 1985م

9-درويش، حسن، أبونواس وقضية الحداثة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م

10- دنقل، أمل: الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت: مكتبة مدبولي، 2005م

11- الزيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، القاهرة: دارمكتبة الحياة، 1946م

12- سعيد، علي أحمد (أدونيس)، أغاني مهيار الدمشقي، بيروت: دار مجلة الشعر، 1961م.

13- ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة العاشرة، القاهرة، دار المعارف، دون تاريخ.

14- عشري زايد، عليّ : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1997م.

15- عليان، جمال، الحفاظ على التراث الثقافي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، دون ط، 2005م.

16- الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الطبعة 3، قم: منشورات ذوي القربى، ١٤٢٧.

17- محمد جدوع، عزة، الشعر العربي المعاصر والتراث، ط 3، السعودية، مكتبة المتنبي، 2013م.

المقالات

18- دريس، عذرا و حضرى، علي، توظيف الشخصيات التراثية الدينية في شعر نجاج إبراهيم، مجلة التراث العلمي العربي، العدد 45، 2020م

19- غلام علي زاده، جواد، الشعراء المظلومون في التاريخ أبو نواس وبشار بن برد أنموذجاً، مجلة كلية الاسلامية الجامعة، 2017، المجلد ، العدد 42، الصفحات 207-230.

الرسائل

20- مزيانى، اسمهان، التراث الشعبي في رواية "سيد الخراب" لكمال قرور، رسالة ماجستير في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر – بسكرة-، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، 2015م.

References

Books

[1] Azarshab, Muhammad Ali, History of Arabic Literature in the Abbasid Era, first edition, Tehran, Simt Publications. 1382.

[2] Ibn Khalkan, Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmad ibn Muhammad, The Deaths of Notables, Volume 1, Cairo: The Arab Renaissance Library, 1948 AD.

[3] Ibn Asaker, Abu al-Qasim Ali bin Hassan bin Hebat Allah, Al-Tarikh Al-Kabeer, Volume 4, Damascus: Dar Al-Rawda, 1332 AH

[4] Ibn Manzoor, Muhammad Bin Makram, Lasan al-Arab, Beirut, Dar Sadir, Volume 3, 1999.

[5] Abu Nowas, Hassan Bin Hani, Diwan, investigation and explanation: Ahmed Abdel Hamid Al-Ghazali, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1984 AD.

[6] Al-Batal, Ali, The Image in Arabic Poetry until the Second Century A.H., Beirut: Dar Al-Andalus, 1980 A.D.

[7] Benamara, Muhammad, The Sufi Impact on Contemporary Arabic Poetry, Publishing and Distribution Company, Madrasas, Casablanca, Morocco, Edition 1, 2001.

[8] Jaafar, according to the Sheikh, Poetic Works, Baghdad: Ministry of Culture and Information, 1985 AD

[9] Darwish, Hassan, Abu Nowas and the Case of Modernity, Cairo: The Egyptian General Book Organization, 1987 AD.

[10] Donqul, Amal: The Complete Poetic Works, Beirut: Madbouly Library, 2005 AD

[11] Zaidan, Jerji, History of Arabic Language Literature, Part 1, Cairo: Library of Life, 1946 AD

[12] Saeed, Ali Ahmed (Adonis):-Songs of Mihyar Al-Dimashqi, Beirut: Dar Majalla Al-Shair, 1961 AD.

[13] Zaef, Shawqi, Art and its Doctrines in Arabic Poetry, Tenth Edition, Cairo, Dar Al Maaref, Plata.

[14] Ashry Zayed, Ali: Recalling the Heritage Personalities in Contemporary Arab Poetry, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, Egypt, 1997

[15] Alyan, Jamal, Preserving the Cultural Heritage, Kuwait, The World of Knowledge Series, Dont I, 2005 AD.

[16] Muhammad Jadu', Azza, Contemporary Arabic Poetry and Heritage, 3rd Edition,

Saudi Arabia, Al-Mutanabi Library, 2013 AD.
[17] Al-Fakhouri, Hanna, Al-Jami' fi Tarikh Arabic Literature, third edition, Qom: Dhul Qirbi Publications, 1427.

Articles

[18] Ghulam Ali Zadeh, Jawad, the wronged poets in history, Abu Nawas and Bashar bin Bard as a model, the Journal of the Islamic University College, 2017, Volume, Issue 42, pages 207-230.
[19] Driss, Sorry and Prepare, Ali, Employment of religious heritage personalities in Najaj Ibrahim's poetry, Arab Scientific Heritage Magazine, issue 45, 2020
[20] Mezyani, Asmahan, Folklore in the Novel "Sayyid of Destruction" by Kamal Garour, Master's Thesis in Arts and Arabic Language, University of Muhammad Khider - Biskra-, Faculty of Arts and Languages, Department of Arts and Arabic Language, 2015.